مقاومة العمانيين للحملات الايرانية على بلادهم ١٧٣٧-١٧٤٤

د. طارق نافع الحمداني *

تناول الباحثون والمؤرخون بشكل مفصل الحملات الفارسية على عمان في الفترة ما بين ١٧٣٧ الى ١٧٤٤ . وأسهبوا في وصف محاولات نادر شاه لانشاء قوة بحرية كبيرة في الخليج العربي (١) ، معتمدين في ذلك على المراجع الفارسية والأوروبية بالدرجة الأولى . ولكنهم لم يهتموا بالدرجة نفسها بدور العمانيين في مقاومة الفرس وابعادهم عن عمان ، ولا باستخدام المراجع العمانية المحلية التي تناولت الأحداث ذاتها بشكل كاف . وقد كانت هذه الأمور جميعها سببا لاعادة النظر في كتابة هذا الجانب من تاريخ عمان ، وتسليط مزيد من الضوء عليه ، اعتمادا على المصادر العمانية المحلية ، ومطابقتها مع المصادر الأوروبية ، وبخاصة الانكليزية .

كان من ابرز المصادر العمانية المحلية التي اعتمدت عليها في هذا البحث كتاب « **كشف الغمة الجامع لاخبار الامة** » ، لسرحان بن سعيد الازكوي (الذي عاش في القرن الحادي عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي) ، وينتهي باحداث عام ١١٤٠هـ / ١٧٢٨م . وقد غطى هذا الكتاب الأحداث التي وقعت في عمان قبل الغزو الفارسي لها عام ١٧٣٧ ، وبخاصة نشاط عمان البحري والفتن والانشقاقات التي حلت بالبلاد بسبب الحرب الفارسية ما بين الهناوية والغافرية.

أما احداث الحملات الفارسية على عمان وموقف العمانيين منها فقد تناولها كل من كتاب « **قصص وأخبار جرت بعمان** » لمؤلفه ابي سليمان محمد بن عامر بن رشيد المعولي المتوفى بعد عام ١٧٨٣ ، « **والفتح المبين باخبار السادة البوسعيديين** » و « **الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان** » ، لحميد بن محمد بن رزيق . وبالنسبة للكتاب الأول ، فمع انه لايزال مخطوطا ، الا ان القسم الأخير منه

* مدرس بقسم التاريخ ــ جامعة بغداد

والمتعلق بالحملات الفارسية على عمان،فقد تم نشره ملحقا بكتاب«كشف الغمة»(٢) أما كتاب « الفتح المبين » و « الشعاع الشائع » لابن رزيق ، فمع اعتمادهما على الازكوي والمعولي في الأحداث الخاصة بالقرن الثامن عشر ، الا أنهما يحتويان على معلومات مكملة أو جديدة لا توجد عند المؤلفين المذكورين (٣) .

وبجانب ذلك كله فقد استفاد البحث في العديد من المراجع الأوروبية ، وبخاصة « حوليات الاباء الكرمليين في فارس » "A Chronicle of the Carmelities in Persia" ومختارات سلدانا

J.A. Saldanha, Selections from state papers, Bombay, Regarding the East India Company's connection with the Gulf, Calcutta, 1908),

التي تعرضت لبعض الأحداث المتعلقة بالغزو موضوع البحث .

١ ــ الأوضاع العامة في عمان حتى عام ١٧٣٦ .

أ ــ نمو قوة عمان البحرية لغاية ١٧١٨ .

أصبحت عمان في نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر أعظم قوة بحرية غير أوروبية في المياه الشرقية . وفي خلال هذه الفترة دخلت عمان في صراع طويل مع البرتغاليين عدوهم اللدود ، واستطاعت انتزاع الكثير من مواقعهم في الهند وفي شرقي افريقيا (٤) . ومما ساعد العمانيين على نجاحهم في هذا الصراع تبنيهم طرازا جديدا من السفن والمدفعية . فقد تخلوا عن استعمال السفن المخيطة ، وهي السفن التقليدية المستخدمة في الخليج العربي ، وقاموا بتسيير سفن على الطراز الأوروبي ، ذات الأشرعة المربعة . وما أن حل القرن الثامن عشر حتى كانت كل القوى البحرية في الخليج تمتلك سفنا من الطراز الأوروبي ومزودة بمدفعية حديثة (٥) .

لقد أدت هذه الأحداث الى ازدياد النفوذ السياسي لعمان وتنامي قوتها البحرية ، بخاصة في عهد الامام سيف بن سلطان (١٦٩٢ ــ ١٧١١) . ففي الداخل تمكن الامام المذكور من فرض سلطانه على جميع القبائل ، وتوحيد البلاد تحت ظل سلطة مركزية قوية (٦) . وفي الخارج فرض العمانيون في أول الأمر سيطرتهم على الخليج ، ثم عززوا هذا الاجراء بتوطيد سلطتهم على العديد من مدن شرقي افريقيا ، مثل ممباسة والجزيرة الخضراء وكلوة ، وذلك بعد طرد البرتغاليين منها عام ١٦٩٨ (٧) . وهكذا ، حكم الأئمة اليعاربة في أواخر القرن السابع عشر ومطلع القرن الثامن عشر دولة يمتد نفوذها السياسي **عبر منطقة الخليج العربي كله** وسواحل شرقي أفريقيا في الغرب ، الى سواحل وادي السند في الشرق ، كما شمل نفوذها الاقتصادي ، أجزاء من سواحل الخليج وفارس

والعراق والجزيرة العربية ، وامتد الى البحيرات الوسطى في افريقيا غربا الى دلتا نهر الكنج شرقا . وكان اهم مظاهر القوة السياسية العمانية ان اصبحت مسقط مركز التوزيع التجاري الرئيسي في الخليج وواحدة من الموانى الرئيسية في المحيط الهندي (٨) .

وشهدت الفترة نفسها تحول عمان الى قوة بحرية كبيرة ، تسيطر بدورها على منطقة واسعة في الخليج العربي والمحيط الهندي . ويرجع الفضل في تكوين هذه القوة البحرية الى تخصيص الكثير من الموارد المالية المتأتية من التجارة لبناء السفن الحربية والتجارية أو شرائها من الهند ، بالاضافة الى الاستيلاء على بعض السفن البرتغالية بعد أن تم ابعاد البرتغاليين عن الخليج في منتصف القرن السابع عشر (٩) . وقد تمكن الكابتن شارلز لوكير Captain Charles Lockyer الذي زار مسقط في ايار عام ١٧٠٦ أن يصور لنا قوة الاسطول العماني بقوله :

« ان السفن الحربية كانت تضع في سورات حيث يوجد هناك ما مجموعه : أربع عشرة سفينة حربية ، وعشرون سفينة تجارية ، وكانت تحوي احدى هذه السفن سبعين مدفعا ، ولا يوجد من بين هذه السفن الحربية جميعها من تحمل أقل من عشرين مدفعا ... » (١٠) .

ولقد أدى امتلاك العمانيين لمثل هذه القوة البحرية الى الدخول في حروب خاطفة ضد أعدائهم من البرتغاليين ، أو ضد السفن والتجارة الفارسية في الخليج العربي (١١) . وقد أكدت المصادر العمانية المحلية وجود مثل هذه القوة البحرية الضخمة في أواخر حكم الامام سيف بن سلطان بحيث أنها بلغت عند وفاته ، على حد تقدير الازكوي « أربعة وعشرين مركبا او ثمانية وعشرين مركبا ، خمسة منها كبيرة الحجم هي الملك والفلك والرحمن وكعب الرأس والناصري ، والباقي أصغر منها حجما . وكانت هذه المراكب غاية في العظم ، وقد احتوى المركب المسمى بالفلك ثمانين مدفعا » (١٢) .

كما قطعت عمان في ظل الامام سلطان بن سيف الثاني (١٧١١ — ١٧١٨) شأوا بعيدا في مجال القوة البحرية ، اذ عززت اسطولها البحري من ناحية وفرضت هيمنتها على أماكن عديدة في الخليج العربي والمحيط الهندي من ناحية أخرى . فمن الناحية الأولى ، ترك لنا الكابتن الكسندر هاملتون Captain Alexander Hamilton الذي زار مسقط عام ١٧٢١ ، رواية مفصلة لما كان عليه الاسطول العماني من قوة في عهد الامام سلطان قائلا :

« كان الاسطول العربي عام ١٧١٥ يتألف من سفينة واحدة تحمل أربعة وسبعين مدفعا ، وسفينتين تحملان ستين مدفعا وواحدة ذات خمسين مدفعا وثماني عشرة سفينة تحمل ما بين اثني عشر الى اثنين وثلاثين مدفعا لكل منها وعدد

كبير من سفن الترانكي ، أو السفن ذات المجاذيف التي تحمل ما بين أربعة الى ثمانية مدافع لكل منها » (١٣) .

ومن الناحية الاخرى ، فقد تمكن الامام سلطان خلال فترة حكمه من تقوية الاسطول العماني وشن الحروب على أعدائه من الفرس والبرتغاليين . ففي عام ١٧١٧ قامت قوات الامام بالاستيلاء على جزر البحرين ، بعد ان كانت تحت السيادة الفارسية (١٤) . وفي العام نفسه بسط العمانيون سيطرتهم على جزيرتي قشم ولارك وضربوا الحصار على هرمز (١٥) . وهكذا صار العمانيون أسياد الموقف في الخليج ، بعد ان أصبحت قشم ولارك بحوزتهم وبفضل قواعدهم الممتدة على الساحل العربي . وقد سبب هذا النمو المتزايد لقوة عمان البحرية ذعرا شديدا لدى الفرس ، بحيث أنهم التجؤا الى مختلف القوى الاوروبية في الخليج طلبا لمساعدتهم ، كما استغلوا ظروف الصراع الداخلي الذي حدث في عمان بعد موت الامام سلطان للتدخل في شؤونها (١٦) .

ب ــ الحرب الأهلية في عمان وأثرها على الأوضاع الداخلية والخارجية :

دخلت عمان في بداية العقد الثالث من القرن الثامن عشر في حرب أهلية عنيفة أوهنت قواها ، بسبب اندلاع الحروب القبلية بين طائفتي الهناوية والغافرية (١٧) وبدأت الفوضى التي لم يستطع أحد من الائمة التالين كبح جماحها ، اللهم الا قلة منهم فقط استطاعوا السيطرة عليها الى حد ما ، مما تمخض عنه استنزاف قوة البلد وشل نشاطاته البحرية ، وبالتالي جعله عرضة للمطامع الأجنبية ، وبخاصة الفارسية التي استغلت حالة الصراع الداخلي في عمان لتحقيق أهدافها فيه (١٨) .

ان الاضطرابات الداخلية التي شملت القطر العماني ما بين ١٧١٨ــ١٧٢٨، بدأت على أثر موت الامام سلطان بن سيف الثاني في عام ١٧١٨ ، وانتخاب ابنه سيف ، الذي كان لا يزال صبيا في الثانية عشرة من عمره اماما . الا أن هذا الانتخاب قد واجه معارضة شديدة من قبل رجال الدين وعدد من زعماء القبائل ، واعتبروه بدعة تتعارض مع شروط المرشح للامامة ، التي تفرض أن يكون ناضجا وخاليا من العاهات (١٩) ، وقاموا باختيار عضو آخر من أسرة اليعاربة بدله (٢٠) وأدى هذا الانتخاب المزدوج الى نشوب منافسة حادة على الامامة ما بين اليعاربة وقادة القبائل البارزين ، ولم يؤد ذلك الى خفض مكانة الامامة فحسب ، بل اطلق العنان لمزيد من الفتن والاضطرابات في انحاء عمان (٢١) .

واذا كان اليعاربة قد وضعوا حدا لخلافاتهم بانتخاب سيف بن سلطان اماما ، وبتعيين بلعرب بن ناصر وصيا عليه ، الا أن هذا الأمر لم يرض بقية القبائل الاخرى . فعندما جاءت وفود هذه القبائل لمبايعة الامام سيف ، ومن بينها

بني غافر برئاسة محمد بن ناصر ، فقد تلقت ، ولسبب غير معروف لحد الآن ، تهديدات من قبل بلعرب بن ناصر (٢٢) ، وقد تلا ذلك اندلاع أوار الحرب الأهلية . اذ استطاع محمد بن ناصر ، وبدعم من معظم القبائل الشمالية (النزارية) من تحريض يعرب بن بلعرب بالخروج على الامام ومهاجمة أزكي ، الا ان الأخير قد هزم على يد قوات بلعرب بن ناصر ورجع الى نزوى (٢٣) . وعندئذ تقدمت القوة التي جمعها محمد بن ناصر نحو نزوى ، غدارت الدائرة على بلعَرب ، واضطر الى الاستسلام . فقام محمد بن ناصر والقبائل الغافرية بالمناداة مرة أخرى بسيف بن سلطان اماما (٢٤) . الا أن محمد بن ناصر سرعان ما استطاع تأمين انتخابه للامامة عام ١٧٢٤ ، فأتخذ جبرين في وسط عمان قاعدة لقيادته ، وحكم البلاد حكما قويا مدة أربع سنوات (٢٥) .

ان انتخاب محمد بن ناصر للامامة في عمان قد فتح الطريق أمام منافس آخر ، ذلك هو خلف بن مبارك الملقب بالقصير ، من بني هنا ، الذي حمل السلاح ضد زعيم بني غافر ، وأصبح خلف يقود القبائل الهناوية في حرب من أجل اسقاط محمد بن ناصر (٢٦) . وهكذا انجرت كل القبائل في عمان لهذا الصراع ، فالقبائل الشمالية او النزارية انحازت مع بني غافر ، وأخذت تعرف على أثر ذلك باسم (الغافرية) ، والقبائل الجنوبية أو اليمنية ، مع بني هنا ، وعرفت باسم (الهناوية) (٢٧) الا أن هذين الزعيمين قد واجها نهايتهما في عام ١٧٢٨ ، وذلك على أثر محاصرة محمد بن ناصر لصحار ، واندفاع خلف بن مبارك لنجدة الجنود المحاصرين في المدينة ، وهناك قتل القائدان في الاشتباك الذي دار تحت أسوارها (٢٨) .

لم ينته الصراع الداخلي في عمان بموت زعيمي الغافرية والهناوية ، ولا بتثبيت سيف بن سلطان ، الذي بلغ سن الرشد في عام ١٧٢٨ ، أماما من قبل الاتحاد الهناوي . وكاجراء معاكس قام الغافرية بانتخاب امام آخر لهم ، الا وهو بلعرب بن حمير ، وذلك في عام ١٧٣٢ . وقد شملت سلطة الأول كلا من سمائل وازكي وبهلا ونخل والشرقية وحصون الظاهرة ، في حين امتدت سلطة الثاني الى حصون الباطنة ومسقط والرستاق (٢٩) .

لقد أدى هذا الانقسام بين المتنافسين الى أن أصبحت الادارة السياسية في الأقسام الداخلية في عمان مشوشة ومرتبكة ، وتوقفت النشاطات التجارية . أما في الخارج فقد تدهورت سمعة عرب عمان ، ولم تعد أساطيلهم مثار اهتمام وتقدير القوى المختلفة ، ومن بينها الأوروبية ، في الخليج العربي والمحيط الهندي (٣٠) .

ومما زاد الأمر سوءا تجدد الصراع بين سيف بن سلطان وبلعرب بن حمير ، او بالأحرى بين طائفتي الهناوية والغافرية . وفي خلال ذلك اثبت سيف عجزه

وعدم كفاءته كحاكم ، كما انصرف على حد قول نيبور Neibuhr عن شؤونه وشؤون جنوده ورعاياه ، الى أمور الترف والملذات (٣١) ، فوصل حكمه الى حافة الانهيار ، وهذا ما دفعه الى اللجوء الى نادر شاه لمساعدته .

٢ ــ الحملات الفارسية على عمان :

لقد سبق أن أشرنا أعلاه كيف استطاعت القوة البحرية العمانية أن تفرض سيطرتها على الخليج العربي والمحيط الهندي في أواخر القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر ، ولم تسلم من ذلك حتى الموانى الفارسية القائمة على الساحل الشرقي من الخليج ، بحيث لجأ الفرس الى الاستعانة بمختلف القوى الاوروبية في المنطقة لاستبعاد النفوذ العماني (٣٢) . الا أن وقوع الحرب الأهلية بين الفئات المتنافسة على الاقامة في عمان ، قد أدى الى ضعف القوة البحرية العمانية من جهة ، وقيام أولى المحاولات الفارسية لمهاجمة مسقط بمساعدة القوى الاوروبية من جهة أخرى . وقد عهدت مهمة قيادة العمليات الفارسية ــ البرتغالية المزمع شنها على مسقط الى لطفي علي خان عام ١٧٢٠ . الا أن قيام الغزو الأفغاني لفارس في السنة نفسها ، وسقوط السلالة الصفوية قد عاق تنفيذ الخطة لسنوات عدة (٣٣) .

ولقد تهيأت الفرصة للفرس مرة ثانية لاحتلال عمان . ففي نهاية عام ١٧٣٦ كان سيف بن سلطان في حرب مع منافسه على الامامة بلعرب بن حمير ، التي لم تكن نتيجتها لصالحه مما دعاه الى الاستعانة بجنود من البلوش ، من أهل مكران جنوبي فارس ، الذين كانوا على معرفة باستخدام الأسلحة الحديثة . وفي هذه المرة أيضا كانت الهزيمة قد ألحقت بسيف والبلوش (٣٤) ، فما كان أمام الامام سيف بن سلطان الا التوجه نحو نادر شاه طالبا مساعدته . وقد وجد الأخير ان الوقت مناسب جدا للقضاء على اعداء فارس القدامى من ناحية وتحقيق مشاريعه التوسعية في المنطقة من ناحية أخرى (٣٥) .

أبحر الاسطول الفارسي من ميناء بندر عباس (كمبرون) في الاول من نيسان عام ١٧٣٧ (١١٤٩هـ) بقيادة لطيف خان مع خمسة آلاف من المشاة وألف وخمسمائة من الفرسان . وقد وصل الاسطول خورفكان بعد أربعة أيام ، فأنزل قسما من قواته فيها ، في حين أبحر القسم الآخر شمالا نحو جلفار (رأس الخيمة) حيث التقى قائده هناك بالامام (٣٦) . وقد خرجت القوات الفارسية وقوات سيف بن سلطان لمقاتلة بلعرب بن حمير ، الذي كان هو نفسه قد تحرك من نزوى شمالا لمقابلتهم . وقد أسفرت المعركة التي وقعت بين الطرفين في مارس ١٧٣٧ (محرم ١١٥٠) في موضع يسمى السميني (قرب البريمي) عن اندحار بلعرب وقواته . وتمكن الفرس عندئذ من الاستيلاء على كل من الجوف وعبره احدى مدن

الظاهرة ، بعد ان الحقوا بها الكثير من السلب والتدمير (٣٧) .

ولكن التقدم الفارسي لم يستمر بسبب وقوع الخلاف بين لطيف خان والامام سيف . اذ أظهر الفرس ما يثير ريبة الامام وشكوكه ، فلم يعاملوه المعاملة اللائقة من جهة ولم يجعلوا له اى نصيب في المناطق المفتوحة من جهة أخرى ، لهذا انفصل عنهم فانفرط بذلك عقد التحالف العسكري بينهما ، ورجع لطيف خان بقواته الى بندر عباس (٣٨) .

ومن الغريب حقا أن نرى الامام سيف يعاود اتصاله مع الفرس مرة اخرى. فما أن أحس بتجدد قوة منافسه بلعرب ، وعدم قدرته في القضاء عليها ، حتى وجه نداء الاستغاثة الى الفرس الذين بادروا ثانية الى نجدته . وقد أبحرت الحملة الفارسية الجديدة في كانون الثاني ١٧٣٨ ، بقيادة تقي خان وبرفقة كل من لطيف خان وخان لار الى جلفار ، وهي تضم حوالي ستة آلاف رجل . وتمكنت القوات المشتركة من ايقاع الهزيمة من جديد بقوات بلعرب بن حمير ، وفتحت مدن بهلى ونزوى وازكي ومسقط ، وذلك بعد مقاومة شديدة من أهلها ، والأكثر من ذلك ان قلعتي الجلالي والميراني في مسقط لم تستسلما للفرس ، رغم حصارهم لها مدة خمسة أسابيع (٣٩) .

ولكن سرعان ما وقع الخلاف بين الامام سيف والفرس مرة اخرى ، حيث ساورت الامام الشكوك من نوايا الفرس ، بخاصة بعد محاصرتهم لمسقط وحصونها ، التي كانت من اهم مراكز حكمه . لذلك راودته فكرة تسوية الأمر مع غريمه بلعرب بن حمير ، فخرج سرا من مسقط وانسحب باسطوله الى بركة ، ومن هناك سار برا الى الظاهرة ، حيث التقى بمنافسه بلعرب ،الذي وافق على التخلي عن مطالبه بالامامة ، كما وعد بتقديم المساعدة لسيف ضد الفرس (٤٠) . وهكذا دانت لسيف بن سلطان ، كما يقول المعولي « جميع حصون عمان وأدت له الرعية الطاعة فلبث على ذلك ثم ظهرت منه احداث لم يرضها المسلمون ولا مبدأ أمره ولا منتهاه وحط الخراج على الرعية » (٤١) . وقد فسحت هذه السياسة التي أتبعها الامام المجال أمام ترشيح امام جديد الا وهو سلطان بن مرشد .

ان ضعف مركز الامام سيف أمام المرشح الجديد ، وفقدانه للمدن العمانية الواحدة تلو الأخرى له ، مثل الرستاق ومسقط ، دفعه للمرة الثالثة للاستعانة بالفرس الموجودين في جلفار ، طالبا منهم الحصول على اذن نادر شاه بالتدخل لصالحه ، وقد وعدهم هذه المرة بتسليم ميناء صحار اليهم (٤٢) . وقد استجاب الفرس لطلب الامام للمرة الثالثة فقاموا بمهاجمة عمان عام ١٧٤٢ . واستطاعوا من خلال هذا الهجوم الاستيلاء على كل من مطرح وسائر حصونها ومسقط ، الا انهم فشلوا في السيطرة على مدينة صحار رغم محاصرتها لمدة تسعة أشهر (٤٣) .

فقد كانت هذه المدينة مركز تجمع القوات العمانية التي أفلحت في النهاية في اقصاء الفرس عن البلاد .

٣ ــ المقاومة العمانية للحملات الفارسية :

على الرغم من موقف الامام سيف الضعيف الذي تمثل بطلب المساعدة العسكرية من الفرس ضد منافسيه على الامامة في عمان ، والذي استجاب له الفرس فورا فأرسلوا جيوشهم واساطيلهم الى تلك البلاد لاحتلالها والسيطرة عليها بحجه مساعدة الامام ، الا انه بالمقابل كان هناك موقف بطولي صامد ، على رأسه عدد من ائمة عمان والشعب العماني بمختلف طوائفه ، باستثناء فئة قليلة .

اما أولى بوادر المقاومة العمانية لقوات الاحتلال الفارسي ان أعلن بعض الزعماء العمانيين رفضهم لسياسة الامام القائمة على الاتصال بالفرس وذلك في رسالة موجهة اليه جاء فيها :

« فهذه مصيبة علينا وعليكم ، ما أعظمها ، ورزية ما أشأمها ... فسبحان الله ، أأنت نائم أم يقظان ، أم استولى على قلبك الشيطان ... تبعث كتبك رسلا (٤٤) قاصدة منك اليهم ، وتدعوهم الى حضرتك وترجوهم لنصرتك ، أنها لأكبر العبر لمن اعتبر » .

الا أن نزول القوات الفارسية أرض عمان تطلب اتخاذ مواقف جديدة لصدها ومقاومتها . فقد قام الامام بلعرب بن حمير اليعربي بحشد اعداد كبيرة من عرب عمان والظاهرة ، فاجتمع معه جيش كبير ، خرج به من نزوى لمواجهة القوات الفارسية ، الا ان الجيش العماني كان أضعف في صد القوات المعادية ، التي أوقعت به الهزيمة بالقرب من البريمي في عام ١٧٣٧ وفرضت الضريبة على أهل البلاد (٤٥) . ولكن عندما كرر الفرس عودتهم الى عمان في عام ١٧٣٨ واجهت قواتهم مقاومة عنيفة من العمانيين في عدة مناطق . فقد ثبت بنو خراص في قلعة نزوى وصمدوا بوجه الفرس ، بحيث لم يتمكن الآخرون من الاستيلاء على القلعة والحصن في نزوى بالرغم من قتلهم عدة آلاف من السكان المدنيين هناك (٤٦) .

وقد أظهر العمانيون وائمتهم في هذه المرحلة أقصى درجات التضحية في سبيل خدمة الوطن والدفاع عنه . فقد قرر زعماء بني غافر ، وهم من مؤيدي بلعرب بن حمير ، ان يعفوه عن الامامة لصالح منافسه سيف بن سلطان ، رغم خلافهم معه ، وذلك من أجل جمع شمل العمانيين وتوحيد قوتهم ضد العدو المشترك ، ولكن للاسف فان هذه الظاهرة لم تدم الا لفترة قصيرة من الزمن . ذلك لأن تصرفات الامام سيف وسياسته الجائرة قد أدت الى انفضاض الناس

من حوله ، واتجاههم نحو انتخاب الامام سلطان بن مرشد ، الذي عرف بعدله وكفاءته ، فخلصت له الحصون في سمائل ونخل وازكي ونزوى وبهلى والشرقية ، واجتمعت حوله القبائل من الفريقين المتصارعين ، أي الهناوية والغافرية (٤٧) ، وهو أمر لم يسبق تحقيقه من قبل في تاريخ عمان ، لأنه وضع مصلحة البلاد فوق كل اعتبار .

لقد واجهت هذه القوى المتحالفة مهمات خطيرة . فلم يعد دورها مقتصرا على مجابهة القوات الغازية التي تطمع بالبلاد ، بل ومجابهة قوات الامام سيف المتعاونة معها . وفي هذا المجال الأخير استطاع الامام سلطان بن مرشد انتزاع المناطق التي كانت تحت نفوذ الامام سيف مثل الرستاق ومسقط ، وازاء ذلك التجأ الامام سيف الى الفرس يطلب عونهم لاسترجاع ما فقده . وبعودة الفرس الى عمان تكثفت الجهود لمواجهتهم للمرة الثالثة ، خصوصا وان الفرس قد جاءوا مدفوعين في هذه المرة بالرغبة في امتلاك المدن والسيطرة عليها ، بعد أن وعدهم الامام سيف بالاحتفاظ بمدينة صحار لهم (٤٨) .

تمركزت هجمات الفرس على المطرح ومسقط وصحار ، التي كانت بيد الامام سلطان بن مرشد ، وبادارة حكام من قبله . وقد أظهر هؤلاء الحكام ، وبفضل التفاف العمانيين من أهل المطرح ومسقط حولهم ، ومساعدة القوة البحرية العمانية التي كانت تهاجم العدو من فترة لأخرى وتزود المدافعين بالمؤونة والامدادات (٤٩) ، أظهروا مقدرة عالية في الدفاع عن المدن العمانية والاستشهاد في سبيلها . الا ان الاسطول الفارسي وتعزيزاته المستمرة ، كانت أقوى من قدرة المدافعين على مواجهتها فانسحبوا عن المطرح ومسقط ، التي وقعت بأيدي الفرس (٥٠) .

وعندئذ أصبحت مدينة صحار مركز المقاومة العمانية للقوات الفارسية الغازية اذ انطلقت منها كل الهجمات العمانية المضادة في زمن الامام سلطان بن مرشد وخلفه أحمد بن سعيد البوسعيدي . ذلك لأن الفرس قد جمعوا في اثناء ذلك الكثير من قواتهم من مسقط وجلبوا المزيد منها ومن المؤونة والتجهيزات الحربية من فارس وحاصروا صحار حصارا شديدا ، فمنعوا بذلك وصول المؤن والامدادات اليها لمدة تسعة أشهر (٥١) . فما كان أمام الامام سلطان بن مرشد الا ان دعا المتطوعين من المدن العمانية المختلفة مثل وادي سمائل ونخل ووادي المعاول والرستاق والشرقية وازكي ونزوى وبهلا والظاهرة بالقدوم اليه لمحاربة الفرس (٥٢) . وقام في الوقت نفسه بالاتصال بأحمد بن سعيد ، الذي كان حاكما لصحار من قبل سيف بن سلطان الثاني ، طالبا التعاون معه لمواجهة الفرس ومقاتلتهم (٥٣) . ومع استجابة أحمد بن سعيد لطلب الامام سلطان الا انه على ما يبدو قد فضل البقاء في مدينة صحار ومحاربة الفرس من داخل حصونها ، لا

كما اقترح الامام بمواجهة العدو خارج المدينة (٥٤) . وعلى أية حال ، فقد دارت معركة عنيفة بين القوات الفارسية وقوات الامام ، كان من نتيجتها ان قتل القائد الفارسي كلب بن علي خان ، احد الاشخاص الذين كانوا يمتون بصلة القرابة لنادر شاه ، في حين لقي الامام سلطان بن مرشد وعدد كبير من اتباعه مصرعهم ، وذلك في اثناء الدفاع عن صحار في عام ١٧٤٣ (٥٥) . كما توفي الامام سيف بعد فترة وجيزة غما وكمدا « لأنه وجد نفسه مخدوعا من قبل الفرس » (٥٦) .

خلا الجو لاحمد بن سعيد ، وذلك بعد موت سلطان بن مرشد وسيف بن سلطان الثاني . أما الامام الجديد بلعرب بن حمير الذي انتخب في عام ١٧٤٤ ، فلم يظهر اي محاولة جدية في محاربة الفرس اثناء حصارهم لصحار . **ومما يلفت** النظر انه حاصر مسقط في احدى المرات فلما بلغ الحصار أوجه رجع بلعرب دون ان يفرض شرطا واحدا على الفرس (٥٧) . وعليه فبعد طرد العدو الفارسي من عمان ، كانت عواطف الكثيرين مع أحمد بن سعيد باعتباره مؤهلا للامامة .

برز **احمد بن سعيد** على المسرح السياسي للمرة الأولى في اثناء الحملة الفارسية الثانية على عمان في عام ١٧٣٨ ، حيث صمد بوجه القوات الفارسية التي أرادت الاستيلاء على صحار ، بل انه قبض على الكثير من أفرادها (٥٨) . وقد فعل مثل ذلك أيضا اثناء الحصار الفارسي لمدينة صحار في عام ١٧٤٢ (٥٩) ، وهذا ما أعطاه مكانة وسمعة جيدة في نظر العمانيين ، اذ وجدوا فيه قائدا قويا وصلبا ، قادرا على مواجهة التحديات الكبيرة التي كانت تواجه البلاد .

لقد عرف أحمد بن سعيد كيف يستغل الظروف المحيطة بعمان لصالحه . فمن ناحية تظاهر بالتحالف مع أسرة اليعاربة ضد الفرس فأكتسب بذلك ثقتهم وثقة مؤيديهم (٦٠) . ومن ناحية أخرى فقد دخل في مفاوضات مع تقي خان ، قائد القوات الفارسية في عمان ، بشأن عقد الصلح بين الطرفين وارتحال الفرس عن صحار (٦١) . وهكذا فقد كان احمد بن سعيد في عام ١٧٤٣ قادرا على استرجاع كافة المناطق العمانية من الفرس ، ومن بينها مسقط ، بصرف النظر عن الوسائل التي استعان بها لتحقيق هذا الهدف . وفي العام التالي أكمل عمله الوطني هذا باجبار الحامية الفارسية في مسقط على الاستسلام ، الا انه نفذ ذلك بطريقة مختلفة . فقد دعا جميع أفراد الحامية الفارسية الى بركة وهناك أوقع فيهم السيف ، ولم يعف الا عمن طلب الامان ، وهؤلاء تقرر نقلهم الى ميناء بندر عباس ، ولكنهم أغرقوا جميعا في البحر (٦٢) . وقد كوفىء أحمد بن سعيد من قبل العمانيين على عمله هذا بانتخابه أماما للبلاد فكانت ولايته بداية لحكم دولة البوسعيد التي ما تزال تحكم البلاد حتى اليوم .

وهكذا برهن العمانيون وائمتهم عن قدرتهم العالية وارادتهم القوية في مقاومة القوات الفارسية الغازية ، رغم الظروف الصعبة التي كانت تحيط بعمان ،

وانقسامها الى طوائف مختلفة . أما بالنسبة للفرس فلم يحصلوا على شيء يذكر سوى خسارة ما يقرب من عشرين ألف رجل (٦٣) . ويعود سبب ذلك الى ان الفرس وضعوا في حساباتهم قوات الأئمة القليلة فقط ، ولم يأخذوا بنظر الاعتبار قوة الشعب العماني وطاقاته ،التي تضافرت في مواجهة الغزاة ومقاتلتهم .ومما زاد في صمود العمانيين ومقاومتهم ادراكهم ان الحملات الفارسية لا تستهدف مساعدة الامام سيف ضد منافسيه على الامامة في عمان فحسب ، وانما تستهدف السيطرة على البلاد وجعلها تحت السيادة الفارسية ، وقد وضح ذلك من خلال رغبة الفرس في الاحتفاظ بالمناطق التي احتلوها ، دون اعادتها الى الامام سيف . الا ان هذه المشروعات الفارسية التوسعية قد فشلت بفضل المقاومةالعمانية العنيفة لها.

الهوامش

(١) انظر على سبيل المثال Laurence Lockhart, Nadir Shah's Campaigns in Oman, 1737–1744, **Bulletin of the School of Oriental and African Studies**, Vol. VIII, pt. I (1936), pp. 157–171; same author, "The Navy of Nadir Shah", **Proceeding of the Iran Society**. Vol. I, pt. I (1936); Nadir Shah (London, 1938),

انظر أيضا الدكتور عبد الامير محمد أمين (بغداد ، ١٩٦٦) ص ص ٢٠ — ٢٢ .

(٢) انظر كشف الغمة الجامع لاخبار الامة ، حققه ونشره عبد المجيد حسيب القيسي (دار الدراسات الخليجية ، ابوظبي — ١٩٧٦ ، ص ص ١٣٥ — ١٤٨) .

(٣) انظر فاروق عمر مقدمة في دراسة مصادر التاريخ العماني (بغداد ، ١٩٧٩) ، ص ١٣٤ .

(٤) لمزيد من التفاصيل انظر د. لورنس لوكهارت «التهديد العماني ونتائجه في أواخر القرن السابع عشر ومطلع القرن الثامن عشر» ، ترجمة علاء الدين أحمد حسين ، **الخليج العربي** ، البصرة (ايلول ، ١٩٦٨) ، ص ص ٩٠—٩١ .

(٥) روبرت جيران لاندن ، عمان منذ ١٨٥٦ مسيرا ومصيرا ، ترجمة محمد أمين عبد الله (١٩٧٠) ، ص ٥٠ .

(٦) الازكوي ، كشف الغمة ، ص ١٠٩ ، ابن زريق ، الفتح المبين ، تحقيق عبد المنعم عامر ود . محمد مرسي عبدالله (١٩٧٧) ، ص ٢٧١ .

(٧) الازكوي ، المصدر السابق ، ص ١٠٩ ، ابن رزيق ، الشماع الشائع ، تحقيق عبد المنعم عامر (١٩٧٨) ، ص ٢١٧ ، المؤلف نفسه ، الفتح المبين ، ص ٢٩٥ ، انظر أيضا ج.ج. لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي (قطر ، الدوحة ، بدون تاريخ) ، ج١ ، ص ص ١١٦—٧ .

(٨) لاندن ، المصدر السابق ، ص ١٥ ، انظر أيضا R.D. Bathurst, Maritime trade and Imamate Government: two principal themes in the history of Oman to 1728 in: The Arabian Peninsula, ed. by D. Hopwood (London, 1972), p. 99.

(٩) Bathurst, op. cit., pp. 99–103; see also Alexander Hamilton, a new account of the East Indies (London, 1744), Vol. 1, p. 76.

(١٠) Charles Lockyer, An account of the trade in India, (London, 1911), p. 207.

(١١) لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، ج٢ ، ص ٦٣٧ ، ج١ ، ص ٦٤١ .

(١٢) الازكوي ، المصدر السابق ، ص ١١٠ ، بتصرف ، انظر أيضا ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص ٢٩٥ ، المؤلف نفسه ، الشعاع الشائع ، ص ٢٧١ ، حيث يؤكد رواية الازكوي بشأن سفـــن الاسطول العماني .

(١٣) Hamilton, op. cit., Vol. 1, p. 76.

(١٤) الازكوي ، المصدر السابق ، ص ١٠٩ ، انظر أيضا
S.B. Miles, The countries and tribes of the Gulf (London, 1966), p. 237.

(١٥) الازكوي ، المصدر السابق ، ص ١٠٩ ، انظر أيضا L. Lockhart, The fall of the Safari dynasty (Cambridge, 1958), p. 115.

(١٦) لوكهارت ، المصدر السابق ، صص ٩٤–٩٦ .

(١٧) سيأتي الحديث عن هاتين الطائفتين .

(١٨) أنظر ادناه في موضوع « الحملات الايرانية على عمان » .

(١٩) Bertram Thomas, Arab rule under the Al-Bu Said dynasty of Oman 1741–1937, p. 10; Donald Hawley, The Trucial States (London, 1970), p. 80.

(٢٠) هو مهنا بن سلطان اليعربي ، الاخ الاصغر للامام الكبير سيف بن سلطان انظر
Miles, op. cit., p. 238.

(٢١) للمزيد من التفاصيل عن فترة التنافس هذه انظر : الازكوي ، المصدر السابق ، صص ١١٣ ١١٦ Miles, op. cit., pp. 238–241. صالح محمد العابد ، دور القواسم في الخليج العربي ١٧٤٧ ـــ ١٨٢٠ (بغداد ، ١٩٧٦) ، ص ٤٣.

(٢٢) الازكوي ، المصدر السابق ، ص ١١٧ .

(٢٣) الازكوي ، ن.م ، صص ١١٧–١١٩ Bathurst, op. cit., p. 104.

(٢٤) الازكوي ، ن.م ، صص ١١٩–١٢٠ . Bathurst, op. cit., p. 104.

(٢٥) الازكوي ، ن.م ، صص ١٢٧–١٢٨ ، لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، ج٢ ، ص٦٣٨.

(٢٦) للتفاصيل انظر ،الازكوي ، المصدر السابق ، ص ١٢٠ ، وما بعدها .

(٢٧) انظر تفاصيل الصراع بين هاتين الطائفتين في : J.B. Kelly, Sultanate and Imamate in Oman (Oxford, 1965), p. 3;
لاندن ، المصدر السابق ، ص ٣٦

لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، ج٢ ، ص ٦٣٨ ، شركة الزيت العربية الامريكية ، عمان والساحل الجنوبي للخليج (القاهرة ، ١٩٥٢) ، ص ١٦ .

(٢٨) الازكوي ، المصدر السابق ، ص ١٣٢ .

(٢٩) المعولي ، قصص وأخبار جرت بعمان ، ص ١٣٥ .

(٣٠) Miles, op. cit., p. 251.

(٣١) M. Niebuhr, Travels through Arabiá (Edinburg, 1972), Vol. 11, p. 118).

(٣٢) لوكهارت ، المصدر السابق ، ص ص ٩٤—٩٧ .

(٣٣) لوكهارت ، المصدر السابق ، ص ص ٩٦—٩٧ . أما تفاصيل الغزو الافغاني لايران فيراجع

A Chronicle of the carmelities in Persia and the Papal Mission of the XVIIthe and XVIIIth centuries (London, 1939), Vol. 1, p. 571. Lockhart, Nadir Shah; same author, The fall of the Safari dynasty.

(٣٤) المعولي ، المصدر السابق ، ص ١٣٦ ، ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص ص ٣٢٧—٨ .

(٣٥) Lockhart, Nadir Shah's Campaigns in Oman, p. 160; Saldanha, selections from state papers, p. 53.

(٣٦) المعولي ، المصدر السابق ، ص ١٣٦ Salmanha, op. cit., 53.

(٣٧) المعولي ، ن٠م ، ص ١٣٦ ، ابن رزيق ، الشعاع الشائع ، ص ص ٣٢٦—٣٢٧ .

(٣٨) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص ٣٣٧ Lockhart, Nadir Shah's Campaigns in Oman, p. 162.

(٣٩) المعولي ، المصدر السابق ، ص ص ١٣٧—١٣٨ ، ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص ص ٣٣٧—٣٣٨ .

Lockhart, op. cit., pp. 163–4.

(٤٠) المعولي ، المصدر السابق ، ص ١٣٨ ، ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص ٣٣٨ .

(٤١) المعولي ، المصدر السابق ، ص ١٣٩ .

(٤٢) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص ٣٤٢ .

(٤٣) للتفاصيل انظر المعولي ، المصدر السابق ، ص ص ١٤١—١٤٣ ، ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص ص ٣٤٣—٣٤٤ .

(٤٤) المصدر نفسه ، ص ٣٣٥ .

(٤٥) المصدر نفسه ، ص ٣٣٦ .

(٤٦) المعولي ، المصدر السابق ، ص ١٣٧ ، ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص ص ٣٣٧—٣٣٨ .

(٤٧) المعولي ، المصدر السابق ، ص ١٣٥ ، ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص ٣٤٠ .

(٤٨) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص ٣٤٢ .

(٤٩) Miles, op. cit., p. 259.

(٥٠) للتفاصيل انظر ابن رزيق ،الفتح المبين ، صص ٣٤٢—٣٤٣ ، للمؤلف نفسه ، الشعاع الشائع، ص ٣٤٠ . حيث يقدر عدد السفن الفارسية بخمسمائة سفينة وهو أمر تبدو عليه صفة المبالغة .

(٥١) ابن رزيق ، الفتح المبين ، صص ٣٤٣—٣٤٤ ، حيث يقدر عدد القوات الفارسية بستين الف رجل، وهو أمر يدعو الى الشك لضخامته .

(٥٢) المعولي ، المصدر السابق ، صص ١٤٢—١٤٣ .

(٥٣) المصدر نفسه ، ص ١٤٣ .

(٥٤) ن.م .

(٥٥) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص ٣٤٤ .

(٥٦) Neibuhr, op. cit., Vol. 11, p. 11.

(٥٧) المعولي ، المصدر السابق ، ص ١٤٥ .

(٥٨) المعولي ، المصدر السابق ، ص ١٣٨ .

(٥٩) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص ٣٤٣ .

(٦٠) كان ذلك بسبب استجابته لطلب الامام سلطان بن مرشد بالتعاون معه ضد الفرس .

(٦١) ابن رزيق ، الفتح المبين ، صص ٣٤٤—٣٤٥ .

(٦٢) للتفاصيل ، انظر ابن رزيق ، الفتح المبين ، صص ٣٤٧—٣٤٨ ، الشعاع الشائع ، ص ٣٤٧ .

(٦٣) Lockhart, Nadir Shah's Campaigns in Oman, pp. 170–6.

المصـــادر

١ ــ المصادر العربية :

ابن رزيق ، حميد بن محمد ، الشعاع الشائع باللمعان في ذكر ائمة عمان ، تحقيق عبد المنعم عامر (١٩٧٨) .

ابن رزيق ، حميد بن محمد ، الفتح المبين باخبار السادة البوسعيديين ، تحقيق عبد المنعم عامر ود. محمد مرسي عبدالله (١٩٧٧) .

الازكوي ، سعيد بن سرحان ، كشف الغمة الجامع لاخبار الامة ، تحقيق عبد المجيد حسيب القيسي (دار الدراسات الخليجية ، ابو ظبي ، ١٩٧٦) .

أمين ، د. عبد الامير محمد ، القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر (بغداد ، ١٩٦٦) .

شركة الزيت العربية الامريكية ، عمان والساحل الجنوبي للخليج (القاهرة ، ١٩٥٢) .

العابد ، صالح محمد ، دور القواسم في الخليج العربي ١٧٤٧ ــ ١٨٢٠ (بغداد ، ١٩٧٦) .

عمر ، فاروق ، مقدمة في دراسة مصادر التاريخ العماني (بغداد ، ١٩٧٩) . لاندن ، روبرت جيراث ، عمان منذ ١٨٥٦ مسيرا ومصيرا ، ترجمة محمد أمين عبدالله (١٩٧٠) .

لوريمر ، ج.ج ، دليل الخليج ، القسم التاريخي (قطر ، الدوحة ، بدون تاريخ) . لوكهارت ، د. لورنس ، « التهديد العماني ونتائجه في أواخر القرن السابع عشر ومطلع القرن الثامن عشر » ، ترجمة علاء الدين احمد حسين ، **الخليج العربي** (البصرة) (ايلول ، ١٩٦٨) ، ص ، ٨٩ ــ ٩٨ .

المعولي ، ابو سليمان محمد بن عامر بن رشيد ، قصص واخبار جرت بعمان (مخطوط) ، (نشر الجزء الخاص باحداث الغزو الايراني لعمان ملحقا بكتاب « كشف الغمة » ، ص ١٣٥ ــ ١٤٨ .)

٢ ــ المصادر الانكليزية :

Bathurst, R.D., "Maritime trade and Imamate Government: Two principal themes in the history of Oman to 1728 in: The Arabian Peninsula", ed. by D. Hopwood (London, 1972), pp. 89–106.

Bertram, Thomas, Arab rule under the Al-Bu Said dynasty of Oman 1741–937, (London, 1938).

A Chronicle of the Carmelities in Persia and the Papal mission of the XVIIthe and XVIIIthe centuries (London, 1939).

Hamilton, Captain Alexander, A new account of the East Indies (London, 1744), 2 Vols.

Hawley, Donald, The Trucial states (London, 1970).

Kelly, J.B., Sultanate and Imamate in Oman (Oxford, 1965).

Lockhart, Laurance, Nadir Shah's Campaigns in Oman, 1737–1744, **B.S.O.A.S.**, Vol. VIII, pt. 1, (1936), pp. 157–71.

Idem, The Fall of the Safari dynasty (Cambridge, 1958).

Lockyer, Charles, An account of the trade in India (London, 1711).

Miles, S.B., The countries and tribes of the Gulf (London, 1966).

Niebuhr, M., Travels through Arabia (Edinburg, 1792).

Saldanha, J.A., Selections from state papers, Bombay, Regarding the East India Company's connection with the Gulf; with a summary of events, 1600–1800 (Calcutta, 1908).